مقدمة

إن توثيق ونشر خطب وكلمات وأحاديث جمال عبد الناصر خلال أكثر من ثمانية عشر عاماً – منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى رحيله فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ – ليست فقط محاولة للتأريخ لزعيم وطنى، ولكنها فى واقع الأمر تؤرخ لعصر بأكمله ولحقبة مهمة من الكفاح القومى والعربى جرت فى إطار دولى حكمته الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وإن بدأت قرب نهايتها مظاهر الوفاق الدولى بينهما، وهو ما كان مقدمة لعصر العولمة وسيطرة القطب الواحد.

وتعتبر خطب جمال عبد الناصر مصدراً مهمًّا للمعلومات حيث كان يتوجه إلى الشعب مباشرة شارحاً قضايا العمل الوطنى، محللاً ما يحيط بها من تحديات دولية وإقليمية ومحلية، واضعاً جماهير الشعب أمام مسئولياتها التاريخية بما تستوجبه من تضحيات وعمل شاق. وقد كان فى كل ذلك يتبع منهجاً يتسم بالصراحة والوضوح والنقد الذاتى مما خلق بمضى الوقت علاقة مباشرة ووثيقة بينه وبين المواطنين، عمق منها عنف المعارك التى خاضوها سوياً، وحدة التحديات التى ساندوه لمواجهتها.

ولقد كانت لجمال عبد الناصر مقدرة فائقة على شرح القضايا المعقدة والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والمسائل الأيديولوجية ببساطة تجعلها تصل بجوهرها وتفاصيلها إلى المواطن العادى بسهولة تعمق من تجاوبه مع السياسات والقرارات والمواقف، تعدى فيها تأثيره حدود الوطن العربى إلى آفاق العالم الثالث فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية.

إن خطب وأحاديث جمال عبد الناصر هى تعبير أمين عن فلسفته بما تتضمنه من مبادئ ثابتة لم تتزعزع .. العزة، الكرامة، الحرية، الاستقلال الذاتى، محاربة الاستعمار والاستغلال والاحتكار، إقامة العدالة الاجتماعية وتحقيق تكافؤ الفرص، توسيع المشاركة الديمقراطية ...، وهى تقدم أيضاً

التفسيرات لمواقفه وسياساته، التى كانت تتسم بالبراجماتية والمرونة فى إطار تلك الثوابت؛ ومن ثم فإن كلماته تكتسب قيمة إضافية حيث إنها الأقدر فى كل وقت على أن تجيب عن كل ما أثير حول ثورة ٢٣ يوليو منذ رحيله.

وبين يد القارئ عمل علمى يوثق ويحقق خطب وكلمات جمال عبد الناصر وأحاديثه الصحفية، بالإضافة إلى المناقشات التى أجراها مع فئات مختلفة من الشعب. وقد تم الاعتماد فى مصادر هذا السجل بالدرجة الأولى على تفريغ شرائط خطب جمال عبد الناصر المسجلة بصوته فى الإذاعة المصرية، وكانت الصحف الأساسية – الأهرام والأخبار والجمهورية – هى المصدر الثانى لما لم يكن مسجلاً منها. وقد تم إجراء مراجعات متعددة لضمان دقة العمل، مع الحرص على الاحتفاظ بكل ما جاء فى الخطب والأحاديث كما هو؛ خاصة وأن جمال عبد الناصر كان يستخدم فى كثير من الأوقات اللهجة العامية فى التحدث إلى الشعب.

ولقد تم تقسيم هذا العمل الضخم إلى أربعة أجزاء، تتبع التسلسل التاريخى حتى يسهل على القارئ الرجوع إليها، مع الالتزام بفهرس للأعلام وآخر موضوعى لمزيد من التيسير فى البحث. ولأن الأحداث فى مجراها التاريخى لاتفصل بينها التواريخ فى جمود، فمن الطبيعى أن يحدث تداخل بين الأحداث التى تتضمنها تلك الأجزاء الأربعة من خطب جمال عبد الناصر فيبدأ حدث فى أحد الأجزاء وتستمر تداعياته فى أجزاء تالية، ولكن الفهرس الموضوعى من شأنه أن يعالج ذلك.

وقد رأينا خدمة للباحث – واختصاراً للوقت – أن نبدأ بطباعة خطب جمال عبد الناصر فى آخر فترة من حياته، من يناير ١٩٦٧ إلى سبتمبر ١٩٧٠، تلك الفترة الفاصلة من تاريخ مصر حيث لعبت دوراً رائداً، ليس فى العالم العربى فحسب، بل فى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، فتزعمت حركة عدم الانحياز، ودعا عبد الناصر من خلالها إلى تخفيض حدة التوتر بين القطبين

وتحقيق السلام العالمى، حتى تتفرغ الدول النامية إلى قضايا البناء والتنمية وتحقيق العدالة الاجتماعية.

ويبدأ هذا الجزء الذى يتناول خطب وأحاديث وتصريحات جمال عبد الناصر فى الفترة من ١٩٦٩ وحتى رحيله فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بخطابه إلى مجلس الأمة الجديد الذى تقرر أن يستمر حتى إزالة آثار العدوان، الذى أكد فيه على إعطاء الأولوية الأولى للجبهة العسكرية، وأعلن فيه أن القوات المسلحة أصبحت فى وضع لا يمكن أن يقارن بما كانت عليه قبل يونيو ١٩٦٧.

وإذا كان العمل العربى المشترك أقل مما كان متوقعاً، إلا أن منظمات المقاومة الفلسطينية قد تعاظم دورها، وقد رفضت قرار مجلس الأمن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، وهو الذى قبلت به الجمهورية العربية المتحدة، وقد تفهم جمال عبد الناصر ذلك مصرحاً أن هذا القرار قد يكون كافياً لمواجهة آثار العدوان فى يونيو ١٩٦٧ إلا أنه ليس كافياً بالنسبة للمصير الفلسطينى.

وقد دعا جمال عبد الناصر إلى عقد مؤتمر قمة عربى لحشد الطاقات العربية كلها من أجل المعركة، إلا أن مؤتمر القمة الذى عقد فى الرباط فى أواخر ديسمبر ١٩٦٩ لم يخرج بشئ على الإطلاق، ولم ينجح فى إيقاف المعارك الجانبية والفرعية فى العالم العربى. ولكن قيام الثورة فى كل من السودان وليبيا أكد استمرار حيوية العالم العربى، وساهم فى حماية ظهر مصر، وكذب مقولة الأعداء بعد نكسة ١٩٦٧ أن الأمة العربية قد تفتت وانتهت، وأن روح القومية العربية قد ضاعت، وأن الثورات التقدمية فى طريقها إلى زوال!

وقد ظلت مصر تعمل من أجل مبادئ الحرية والاستقلال الوطنى فى جميع أنحاء الوطن العربى رغم النكسة، فكان للكفاح العربى المسلح ضد القواعد العسكرية البريطانية فى منطقة الخليج العربى والتى حاولت بريطانيا أن تستغل ظروف النكسة لتبقى فيها برغم سابق إعلانها الجلاء عنها.

وقد شهدت هذه الفترة تصعيد مصر لعملياتها على خطوط الجبهة، وتكثيف

عمليات منظمات المقاومة الفلسطينية، وتكررت الغارات الإسرائيلية ضد المدن والقرى فى الأردن بدعوى ردع المقاومة الفلسطينية. وكان جمال عبد الناصر دائب العمل على كافة الأصعدة الداخلية والخارجية من أجل التحرير وتصاعدت المعارك العسكرية مع إسرائيل من الصمود إلى الردع إلى الاستنزاف، وأقامت مصر الجيش الشعبى وكتائب الدفاع فى كل مكان لتحمى البلاد ضد تسلل إسرائيل إلى داخل الأراضى المصرية، وتؤمن الأهداف الحيوية.

وقد أدى تكثيف العمليات الحربية على الجبهة الشرقية للقناة ونجاح الدوريات العسكرية المصرية فى العبور المستمر وتدمير أكثر من ٦٠% من خط بارليف إلى طلب إسرائيل وقف إطلاق النار، وتدخل الولايات المتحدة لمحاولة حصر الصراع بين مصر وإسرائيل والدعوة إلى مفاوضات مباشرة بين الطرفين، وهو ما رفضه جمال عبد الناصر مؤكدا على ضرورة إنهاء آثار العدوان عن كل الأراضى العربية المحتلة.

وقد شن العدو فى هذه الفترة حربا نفسية لإشاعة اليأس فى المستقبل، واجهها جمال عبد الناصر باقتدار مركزا على قوة الجبهة الداخلية والصمود الاقتصادى، ولعب الاتحاد الاشتراكى ومؤتمراته القومية التى أصر جمال عبد الناصر على حضورها دورا هاما فى التعبئة القومية من أجل المعركة.

وفى خضم المعارك العسكرية والسياسية كان عبد الناصر يفتتح المشروعات الاقتصادية الجديدة كمصنع الدرفلة الذى يعد جزءا من مجمع الحديد والصلب، والذى تكلف ٦٧ مليون جنيه، كما أعلن فى ٢٧ يوليو ١٩٧٠ انتهاء العمل فى مشروع السد العالى تعزيزا لشعار "يد تبنى ويد تحمل السلاح". وفى نفس الوقت لم تمنع الضرورات جمال عبد الناصر من المضى فى برنامج التحول الاجتماعى طبقا للميثاق القومى فأعلن التحديد الأخير للملكية الزراعية بخمسين فدانا للفرد ومائة فدان للأسرة. وهكذا أكدت خريطة القضايا التى يديرها فى تلك المرحلة رؤيته الشاملة للصراع مع الصهيونية.

لقد رحل جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بعد أن أوقف نزيف الدم العربى فى الأردن، وبعد أن أدى رسالته التى حمله لها الشعب فى ٩، ١٠ يونيو ١٩٦٧؛ فأعاد بناء القوات المسلحة التى حشد لها نصف مليون جندى تم تدريبهم على أعلى مستوى، وتم تزويدهم بأحدث الأسلحة، ونجح فى إقامة حائط الصواريخ على طول الجبهة المصرية، وأصبح الجميع يتطلعون إلى انطلاق معركة التحرير التى جرى الإعداد لها وطال انتظارها.

obeikandl.com